الأربعون النووية

المحاضرة الثالثة عشر

خريطة الجنة | كيف تكون محبوباً ؟

الحمد لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد،

أهلًا ومرحبا بكم في اللقاء الثالث عشر من لقاءات هذه الدورة الطيبة المباركة في مدارسة كتاب الأربعين النووية للإمام النووي عليه سحائب الرحمة، المرة الماضية إنتهينا من الحديث الثامن والعشرين، وبين أيدينا اليوم بإذن الله الحديث التاسع والعشرون والثلاثون والواحد والثلاثون .

الحديث التاسع والعشرون :

"عَن مُعَاذ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ :قُلتُ يَا رَسُولَ الله أَخبِرنِي بِعَمَلٍ يُدخِلُنِي الجَنَّةَ وَيُبَاعدني من النار قَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيْرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللهَ لاَتُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيْمُ الصَّلاة، وَتُؤتِي الزَّكَاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ .ثُمَّ قَالَ :أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ :الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ، حَتَّى بَلَغَ : يَعْلَمُونْ [السجدة 16-17] ثُمَّ قَالَ :أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، قَالَ :رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ ثُمَّ قَالَ : أَلا أُخبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ:بَلَى يَارَسُولَ اللهِ .فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ :كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا .قُلْتُ يَانَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ :ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَامُعَاذُ .وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَو قَالَ :عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ" رواه الترمذي

وقال :حديث حسن صحيح.

حقيقة هذا الحديث حديث عظيم جدًا، وقد جمع لنا أبوابا كثيرة من الخير، لذلك لا عجب أن يكون هذا الحديث في الأربعين النووية،

● المسألة الأولى:

من هو الراوي؟ يعني من هو السائل؟ لأن لا شك أن هذا أمر فارق ومؤثر

السائل الآن بين أيدينا هو **معاذ بن جبل رضي الله عنه**، وهذا أمر يحتاج إلى **وقفة**، معاذ بن جبل شاب من الأنصار، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أول وصوله إلي المدينة ، وكان ذكيا، حريصا جدًا على طلب العلم، وكان كثير التفقه، حافظا للقرآن والحديث، وكانت له عقلية فذة، حتى عدَّه النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الأمة بالحلال والحرام،

فقد قال رسول الله ﷺ **" أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل"**

هذه شهادة عظيمة من النبي صلى الله عليه وسلم، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم شهد أنه يحب معاذ بن جبل جدًا، وصرح له بوضوح بهذا الأمر،

فقال يومًا: **"يا معاذ، والله إني لأحبك، ثم أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"**

والحمد لله لنا درس في سيرة معاذ بن جبل ننصح بسماع هذا الدرس في سلسلة قصص الصحابة،

معاذ بن جبل لم يكن عالِمًا عاديًا، بل كان إمام العلماء، بل هناك فارق بينه وبين العلماء، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن العلماء يُحشرون يوم القيامة جميعًا، وأن معاذًا يكون إمامهم **" برطوة"**، أي برمية حجر، كأنك أخذت حجرًا ورميته، فهذا هو الفارق بين العلماء وبين معاذ بن جبل رضي الله عنه وأرضاه .

معرفة الراوي تجذبنا لأهمية السؤال، بمعنى :الآن سؤال مثل" أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار "

قد يقول قائل هذا سؤال قد يسأله أعرابي، ولكن الشاهد أن السائل الآن هو معاذ بن جبل رضي الله عنه وأرضاه، فهذا ينقلنا إلى خطورة المسألة،

كما قلنا إن سؤالا كهذا قد يطرحه أعرابي أو رجل حديث عهد بالإسلام، لكن أن يسأله معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو الذي لازم النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا أمر عظيم، ويكشف لنا عن فقه هذا السؤال وخطورته، وكذلك عن فقه السائل، لأن معاذ أعلم أن هذه هي غاية الدنيا، فالدنيا نهايتها جنة أو نار، ولذلك كان همه أن يسأل عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده عن النار .

الخلاصة أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: **" دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار"**،

والنبي صلى الله عليه وسلم سأل رجل، وكان هذا الرجل لا يحسن الدعاء : **"بم تدعو في صلاتك؟ قال :أدعو بالجنة وأستعيذ بالله من النار، فقال صلي الله عليه وسلّم :حولها ندندن"**

يعني أن كل الأدعية وكل ما نفعله في حياتنا في النهاية مراده أمران، إما الجنة وإما النار،

فتأمل، الآن معاذ بن جبل رضي الله عنه فهم حقيقة الحياة، كما نقول : رجل فاهم، أدرك أن الخلاصة في النهاية هي جنة أو نار، فإذا قال قائل : كيف أدخل الجنة وكيف أنجو من النار؟ فقد حقق المراد من هذه الحياة، لأن الله سبحانه وتعالى إنما خلقنا لنعبده، وفي النهاية المآل إما إلى جنة وإما إلى نار،

فعلم معاذ رضي الله عنه لماذا خلق، وعلم الغاية والنهاية والمصير، فإختصر الطريق كله في سؤال بديع**" يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ."**

● المسألة الثانية :

لماذا هذا الحديث من جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم؟

الحقيقة أن الحديث ظاهر جدًا في الإجابة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجاب سؤال معاذ، وبيَّن له الطريق الذي يدخله الجنة وينجيه من النار، فقال:

لا تشرك بالله شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت

ثم زاد النبي صلى الله عليه وسلم فبيَّن له الزيادة، أي أن هذا هو الحد الأدنى لكي تدخل الجنة، ثم هناك زيادة يمكن أن يزيدها العبد في الليل من عمل، كأن يقيم الليل، ويصوم النوافل، ويتصدق ونحو ذلك، ثم إرتقى به إلى مرتقى أعلى، فبيَّن له أن رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، ثم حذره أن يضيع ذلك كله بآفات اللسان، ودله على أن يضبط لسانه، أي يحافظ على جميع هذه الأعمال .

فالحقيقة أن الحديث فيه شمول عظيم جدًا، ولذلك إستحق بلا شك أن يكون في إختيارات الإمام النووي في هذه الأحاديث الجامعة لمعاني الإسلام وأركانه، ونلحظ في هذا الحديث أيضًا مسألة مهمة، وهي أنه لا جديد في طريق الجنة، فإذا تأملت في إجابة النبي صلى الله عليه وسلم تجدها إجابة بسيطة جدًا،

بعض الشباب مثلًا يأتي إلى أحد العلماء أو الدعاة ويقول له :يا شيخ أريد شيئًا مختصرًا أو سريًا يدلني على طريق الجنة، وكأنه يتوقع أن يسمع عبادة جديدة أو عملًا لم يعرفه من قبل، بينما حقيقة الأمر أن الدين واضح، كما أجاب النبي صلى الله عليه وسلم :صلاة وصيام وقيام وصدقة وقراءة للقرآن بتدبر، فهذا هو الدين، وهذه هي الطريق إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد سألني أحدهم يوما فقال :قل لي الدعاء الذي إختصصته لنفسك وتدعو به دائمًا، فقلت :لا جديد، إنما هي أدعية السنة، ففي أدعية السنة الخير والبركة وجوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم، لكن السائل شعر بالإحباط وكأنه كان يتوقع أن يسمع دعاء جديدًا أو سرًا لم يعرفه أحد من قبل، كأنه ينتظر إسلامًا جديدًا!

تأمل في هذه المسألة :سؤال فقيه مثل معاذ بن جبل رضي الله عنه، ثم إجابة نبوية بغاية البساطة، فلم يخترع له النبي صلى الله عليه وسلم دينًا جديدًا، ولم يخرجه عن المألوف، وإنما قال له ببساطة إلزم ما أمر الله به، إفعل الواجبات وأترك المحرمات، فهذا هو الدين، ولا داعي للاختراعات التي توقع في البدع .

وقد قال العلماء : ما نشأت بدعة إلا وماتت سنة، فبعض الناس يبحث عن الجديد، فيتبع المبتدعة ويُعجب بما أحدثوه، ويقول هذا هو الطريق الجديد !فيقع في البدعة ويترك السنة، فتراه لا يقوم الليل، وأوراده من القرآن تضيع، ويتمسك بأوراد مبتدعة، ويجلس في مجالس ذكر غير مأثورة، ويترك الأذكار الصحيحة الواردة في السنة، بينما الأمر أبسط من ذلك كله، فإجابة النبي صلى الله عليه وسلم توضّح أن الدين هو الدين، وأن الطريق إلى الله لم يتغير، وإنما الذي يتغير هو أداؤك في الطريق :إحسانك، خشوعك، جودة سيرك، لكن الطريق نفسه هو الطريق .

● المسألة الثالثة :

قول النبي صلى الله عليه وسلم: **" وإنه ليسير على من يسره الله عليه"**

نلاحظ في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لمعاذ بأن سؤاله سؤال عظيم، فقال : **"لقد سألت عن عظيم "**ولكنه أضاف جملة ملفتة: **" وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه"**،

هذا فيه دلالة على أن سلوك هذا الطريق الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم يسير وميسَّر لمن وفقه الله سبحانه وتعالى .

سلوك الطريق إلى الله لن يكون إلا بالله، ولن تُوَفَّق فيه إلا إذا أعانك الله سبحانه وتعالى، لذلك السائر إلى الله عز وجل لا يستغني أبدًا عن الإفتقار إلى الله مهما طال سيره،

بعض الناس يفتقر في أول طريق الهداية، فتراه في بداية الطريق يقول :يا رب إهدني، يا رب أعني، يا رب يسِّر لي الطاعة، فإذا تيسرت له الطاعة وتمكن منها بدأ يستغني عن هذه الأدعية، وهذا خلل، بل قد ينتكس، لأنه إذا ركن إلى نفسه عوقب بأن يَكِلَه الله إلى نفسه، فيُترَك إلى ضعفه وعجزه وفقره .

والذي يتأمل حال النبي صلى الله عليه وسلم يجده دائم السؤال لله عز وجل بالتيسير، فكان يقول في دعائه: **" اللهم إهدني ويسر الهدى لي"** كأن المعنى أنك محتاج في كل لحظة أن تستمد القوة من الله وأن تتوكل عليه،

وهذا هو معنى قوله تعالى : **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5]**

فإياك أن تعتمد في الطريق إلى الله على حولك وقوتك، وقد كان شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله تعالى يقول : **ليس لي شيء، وليس مني شيء، أنا المكدي وإبن المكدي، كذاك كان أبي وجدي،** أي أني المقصر الذي لم يستطع أن يكمل الطريق لولا الله سبحانه وتعالى، وكان ينشد أبياتًا في بيان فقره إلى الله:

أنا الفقير إلى رب البرياتِ

أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي

والخير إن يأتنا من عنده يأتِ

لا أستطيع لنفسي جلب منفعةٍ

ولا عن النفس لي دفع المضراتِ

فهذا حال السائر إلى الله إفتقار دائم، إستعانة دائمة، وتوكل عظيم على الله، تعلم أنك لن تصل إلا إذا يسَّر الله لك الطريق، فإجتهد وخذ بالأسباب مع حسن الاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

● المسألة الرابعة :

كرم النبي صلى الله عليه وسلم في الإجابة، فقد أكرم معاذ بن جبل رضي الله عنه بأن زاده في الجواب، فسؤاله كان **"دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار"** فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم،

ثم قال: **" ألا أدلك على أبواب الخير؟"**، ثم قال: **" ألا أخبرك بملاك ذلك؟ "**

فزاد وزاد، وهذا من الأدب في التعليم، أن العالم إذا وجد الطالب نبيهًا مجتهدًا يستوعب أكثر من مجرد الجواب المباشر، فإنه يزيده ليستفيد أكثر، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك، كما في حديث البحر، حين سألوه: **" يا رسول الله، أنتوضأ بماء البحر؟ فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته"** ، فأجاب وزادهم

رغم أنهم سألوا عن الوضوء فقط فأجابهم وزاد ،لكن إذا كنت تعلم من السائل قلة الإستيعاب فنجيب على قدر مسألته .

● المسألة الخامسة :

أن النبي صلى الله عليه وسلم بيَّن أن طريق الجنة أن تفعل الواجبات وتترك المحرمات، فإذا فعل العبد ما أوجبه الله وترك ما حرمه الله دخل الجنة، ورأس كل ذلك التوحيد، فإن الله لا يقبل عملًا إلا من موحِّد، قال تعالى:

{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 110]

ولذلك **أول** ما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" تعبد الله لا تشرك به شيئًا"**، وهذه هي وصية جميع الأنبياء،

قال تعالى :**{اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ} [هود: 84]**

وقال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13]**

فالإهتمام بالتوحيد قضية كبرى، والخلل أن ينشغل بعض الناس بالعبادات دون أن يعمقوا قلوبهم في التوحيد، فتقوى عقيدتهم وتصفو، فالعقيدة ليست مجرد مسائل جافة أو ردود على

المبتدعة، وإنما هي حياة، تُعاش وتُحب وتُتذوق، وهذا أمر مهم جدًا في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى .

و أنصح الأخوة بسماع حلقاتنا لسلسلة أصول الإيمان في شرح العقيدة

ثم دلَّ النبي صلى الله عليه وسلم على بقية الواجبات : الصلاة المكتوبة، كما في حديث الأعرابي، والزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت، فمن فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، فهذا هو طريق الجنة ببساطة ووضوح

● المسألة السادسة :

فضل الصوم،

فبعد أن بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ الأساسيات قال: **" ألا أدلك على أبواب الخير؟"**،

وكأنه يقول له : يا معاذ، أريدك أن تزيد على ذلك، فبدأ بأعظمها،

فقال**" الصوم جنة "**فتأمل كيف بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالصوم، وأوصى به، وجعل له شرفًا عظيمًا، فقد جاء أبو أمامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال" :يا رسول الله دلني على عمل في الإسلام لا عدل له، فقال :عليك بالصوم فإنه لا عدل له"،

وجاء في الحديث القدسي قول الله تعالى: **" كل عمل إبن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به"**،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **" من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفًا"**

وهذا يأخذنا إلى **معنى الجُنَّة**، وهي الوقاية والحماية، ولذلك سُمي الدرع في القتال" مِجَنًّا"، فالصوم وقاية وحماية **من أمرين :**

1) يحميك في الدنيا من خطورة الشهوات لأنه يضيق الشهوة، فيجعلك تفعل الحلال فقط ولا تتطور أنها توصل بك للحرام لإنه يضيق مسالك الشيطان،

النبي عليه الصلاة والسلام قال: **" يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ ".**

وفي الحديث قال: **" إنَّ الشَّيطانَ يَجري مِن ابنِ آدمَ مَجرى الدَّمِ مِن العُرُوق".**

فعندما أصوم يهدأ الدم في العروق وبالتالي يضعف أثر الشيطان عليَّ، فالإنسان إذا وجد الشهوات تأثر فيه جدًا وأنه على وشك أن يقع في المحرمات، فليكثر من الصيام، بشرطين :

الشرط الأول : الإكثار،

الشرط الثاني : حسن الأداء.

الإكثار أن تصوم مثل صيام سيدنا داود، تصوم يوم وتُفطر يوم، و الشرط الثاني أن تصوم بحق أي تجعل يوم صومك يختلف عن يوم الفطر، فإذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولتصم جوارحك، ليس مجرد الإمتناع عن الطعام والشراب وإلا فليس هذا ما يُعطي النتيجة الكاملة، فالصوم جُنَّة،

2) يحميك في الآخرة،

كما ذكرنا في الحديث: **" من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفًا"**

وبالتالي الصوم يبعدك عن النار، الصوم له درجات هائلة عند الله وحسناته كبيرة جدًا، وبالتالي في الميزان ستكافئ سيئات كثيرة، وممكن أن تحميك من أن يتفوق ميزان السيئات على ميزان الحسنات، فهذا في فضل الصوم ومعنى الصوم جُنَّة.

● المسألة السابعة :

قول النبي عليه الصلاة والسلام الصدقة تطفئ الخطيئة، فما فضل هذه الصدقة وأهميتها؟

الصدقة المقصودة هنا صدقة التطوع، ما زاد على مسألة الزكاة، ولا شك أن الصدقة أمرها عظيم جدًا، يكفي في شرف الصدقة قول الله تعالى، قال عن الكافر :**{ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون: 10]**

أمنية الكافر أن يرجع إلى الدنيا فيصدق، أن يدفع صدقات، لما رآه من فضل وشرف الصدقة، لذلك قالوا أن الصدقة فيها **خمسة عشر فائدة**، عشر في الدنيا وخمسة في الآخرة

أما العشر في الدنيا فقالوا:

1) يدفع الله بها البلاء، صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

2) الصدقة من أسباب البركة في المال وفي الحديث **" ما نقص مال من صدقة"**

3) الصدقة سبب إنشراح الصدر وراحة القلب كأن الإنسان في أسر ويتحرر كلما تصدق من أسر الدنيا وضيق الدنيا،

النبي عليه الصلاة والسلام شبه المتصدق بواحد عليه أغلال وكلما تصدق تُفك هذه الأغلال واحدة تلو الأخرى .

4) الصدقة تطهر المال فهي مطهرة للمال .

5) الصدقة دواء للأمراض الجسدية .

6) الصدقة دواء للأمراض القلبية من التعلق بالدنيا وغيره .

7) الصدقة أمان من الخوف في الدنيا .

8) الصدقة توصل العبد إلى حقيقة البر: **{ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [ال عمران: 92]**

9) الصدقة تجعل الإنسان يفوز بدعاء الملكين حين تقول اللهم أعطي منفقًا خلفًا .

10) يذهب كل مالك ويبقى ما تصدقت به.

أما الخمسة التي في الآخرة :

1. أن الصدقة دليل على صدق العبد في المعاملة مع ربه لذلك سميت صدقة من الصدق .
2. أنها تمحو الخطيئة، ففي الحديث: **" الصدقة تطفئ غضب الرب "**

وفي حديث آخر: **" صِلَةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في العُمْرِ ، و صَدَقَةُ السِّرِّ تُطفِئُ غضبَ الرَّبِّ "**

3. الصدقة وقاية من نار جهنم .
4. المتصدق في ظل عمله يوم القيامة وفي ظل صدقته يوم القيامة .
5. المتصدق يُدعى يوم القيامة من باب الصدقة،

السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها رأت إمرأة، وهذا الحديث لابد أن أذكره لبيان مسألة مهمة أن **الصدقة ليست بكثرتها**، بعض الناس عندما يأتي في أذهانهم كلمة الصدقة وكأنه يستثني نفسه من الموضوع، لماذا؟ يقول لك هذه الصدقة لمن يملك مالًا، وأنا ليس معي مال فبذلك باب الصدقة مقفول بالنسبة لي، نقول له لا، ليست بكثرة الصدقة،

وإنما كما في الحديث : **"سبقَ دِرهمٌ مائةَ ألفِ درهمٍ "**

كيف؟ إنسان معه درهمين أنفق درهم، وآخر كان معه آلاف وملايين الدراهم أخرج ألف درهم، لذلك من تصدق بالدرهم أفضل منه .الصدقة بما وقر في القلب،

الصدقة ليست بقدرها وإلا فربنا غني عن جميع الصدقات، ولكن ما يرى الله من المتصدق من الشفقة والرحمة وهذه الأمور..

حديث السيدة عائشة لما جاءتها إمرأة ومعها إبنتين فطلبت منها الصدقة، فالسيدة عائشة أعطتها ثلاثة تمرات واحدة لها وواحدة لكل إبنة، فأعطت الأم كل إبنة واحدة وهمت أن تأكل التمرة الخاصة بها، وقبل أن تأكلها كانتا الإبنتين أكلن كل واحدة التمرة الخاصة بها، وبدأن ينظرن للأم لازالتا جائعتان يتشوفان للتمرة التي في يديها، فرحِمتهم وشقت التمرة نصفين وأعطت كل واحدة نصف،

عندما رجع النبي عليه الصلاة والسلام البيت ذكرت السيدة عائشة له ذلك،

قال: **" إن الله تعالى قد أوجب لها بذلك الجنة "**

فكر بهذا الموقف سبحان الله!

هذا مِصداق لقول النبي عليه الصلاة والسلام: **" اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ ."**

فعلًا هي تشق تمرة وتعطي كل واحدة نصف تمرة ووجبت لها الجنة، فالشأن ليس في كثرة الصدقة، فإياك أن تستهين بقدر الصدقة ولا تزهد في أي صدقة مهما كانت، حتى لو كنت فقيرًا ما زال حتى لو أمر يسير تصدق به .

- **المسألة الثامنة :**

أهمية القيام في حياة المسلم، تأمل في قول النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر الأول أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار،

ثم قال : **"وصلاة الرجل في جوف الليل"،**

ماذا يقصد صلاة الرجل في جوف الليل؟ أي أن صلاة الرجل في جوف الليل أيضًا تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار .

وتلي قوله تعالى **{ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 16]**

في الحقيقة هذا الموضوع مهم، وهو أهمية قيام الليل في حياة المسلم، قيام الليل دأب الصالحين كما جاء في الحديث، قيام الليل مرضاة للرب، مكفرة للسيئات، للأسف كثير من المنتسبين للإلتزام والهدي والسنة مقصرين في قيام الليل، الآن الليل ممكن يصل إلى عشر ساعات مثلًا، دعونا نتكلم بكل صراحة، **كم تجلس على الموبايل في هذا الوقت؟ ثم كم تعطي لقيام الليل؟** بعض المنتسبين للهداية لا يُوتر أصلًا وأحسنهم حالًا يصلي الوتر قبل أن ينام أو يصليه بعد العشاء مباشرةً وإنتهت علاقته بقيام الليل، وهذا يا إخواني لا يليق بطالب علم أو سائر في الطريق إلى الله أن لا يكون له حظ كبير من قيام الليل.

تأمل في قول الله تعالى **{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل: 20]**

النبي عليه الصلاة والسلام ليس هو وحده، بل هو والصحابة كانوا يصلون على الأقل ثلث الليل، على الأقل مثلًا يصلي ساعتين أو ثلاثة كل ليلة،

أين نحن من هذه الأفعال !

إذا صلى واحد منا نصف ساعة بالليل يقول أنا قوَّام، وهذا شيء عجيب! صلاة الرجل في جوف الليل ينبغي أن يكون للإنسان هم وإهتمام بهذه القضية، أنظر الأجر الرهيب **{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ}** أي من عظم الأجر لن تستوعب عظم أجر أصحاب قيام الليل،

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: 17]

وتأمل هنا في الحديث، قول : **"صلاة الرجل في جوف الليل"**، أي تصلي في وسط الليل، والبعض قال :لا، المقصود هنا آخر الليل، لأن في روايات أخرى النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول: **" جوف الليل الآخر"**

وكأن المقصود بجوف الليل جوف الليل الآخر أي في منتصف ثلث الليل الآخر،

لأن في **آخر الليل هناك عبادة ثانية وهي الإستغفار،**

{ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات: 17]

فالإنسان يعاتب نفسه وكما قلنا في الأربعين لنا هم كبير بقضية العمل، العمل بالعلم يا إخواني، أنت الآن أخذت حديث معاذ بن جبل ماذا غير فيك؟

وكما ذكرنا في أول السلسلة قول **أم سفيان الثوري** له

قالت: **" يا بني إنك إن كتبت عشر كلمات فلم تجد ذلك بزيادة في علمك وعبادتك وأخلاقك فإن هذه الكلمات حجة عليك".**

الآن تقرأ حديث معاذ فيه كلام على الصدقة والصوم والصلاة في جوف الليل، ما الذي تغير فيك؟ الآن إذا لم تخرج من هذا الدرس عندك قرار بأوراد واضحة في قيام الليل وإطالة وخشوع، فنحن هكذا لم نتعلم أي شيء، وهذا الحديث حجة علينا عند الله سبحانه وتعالى، مهم جدًا القيام في حياة المسلم.

● المسألة التاسعة :

العمل الخفي أرجى عند الله، لاحظ أن الأعمال التي بيَّنها النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ هي أعمال خفية في الحقيقة، فالصوم شيء خفي لا يعلمه إلا الله، الصدقة غالبًا أي أن الإنسان يتصدق في الخفاء.

وفي الحديث من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله **"ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها، حتَّى لا تَعْلَمَ شِمالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ"**

وقيام الليل في جوف الليل بالتأكيد عمل خفي، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام أيضًا يرقى مع معاذ ويرشده إلى الأعمال الخفية، بمعنى **هل تريد أن تصل إلى مرتبة عالية إجعل بينك وبين الله رصيد في أعمال السر**، وكان سفيان الثوري يقول : **ما أظهرناه من عمل لا نعده شيئًا**، أي أن المعاملة بيننا وبين الله في أعمال السر والخفاء،

وكان أن مات أحد السلف فرآه أخوه في المنام **فسأله :ماذا صنع الله بك فقال :لولا ركيعات كنت أركعها سرًا في جوف الليل لهلكت**، أي أنه يقول أن الذي نجاني ركيعات كنت أركعها سرًا في جوف الليل، فمهم جدًا أننا في طريقنا إلى الله لا نهتم فقط بالأعمال بل نهتم أيضًا بالأعمال الخفية لأنه يوجد آفة في الطريق إلى الله، نجد الناس تنشط في الأعمال الظاهرة فقط و هذا شئ يبين لك قدرك في الإلتزام، فلا يجوز مثلًا في إلتزامك أن تجد نفسك تنشط فقط في الأعمال الجماعية الدرس، صلاة الجماعة، حلقة العلم، الدار بعد ذلك عندما تسأل نفسك أين الأعمال الخفية لدي؟ لا يوجد،

هنا يجب أن تنتبه أنه يوجد شئ خاطئ، لابد أن يكون هناك أعمال خفية كثيرة، لا كل أعمالي ظاهرة، **عندما تجلس بمفردك ماذا تفعل.؟** لا أفعل شئ، لا أنشط أبدًا إذا كنت وحدي، **أنت هكذا تعامل من؟** هل تعامل الله أم تعامل الناس؟ فالإنسان يُطمئن نفسه أنه مخلص بأعمال السر،

جاء رجل إلى معلمنا **علي بن أبي طالب** وكان يشكو النفاق فقال له :**هل تستغفر إذا أذنبت وتصلي حيث لا يراك الناس قال :نعم، قال :إذهب فما جعلك الله منافقا،**

وبالتالي الإنسان الذي يكثر من أعمال السر يُطمئن نفسه أنه مخلص وأنه إن شاء الله ليس في المنافقين.

● المسألة العاشرة :

وهي رأس الأمر، النبي عليه الصلاة والسلام قال: **" ألا أخبِرُك بِرأسِ الأمرِ ، وعمودِه، وذِروَةِ سَنامِه؟ قلت :بلَى، يا رسولَ اللهِ، قال :رأسُ الأمرِ الإسلام"** .

هذا الرأس، طبعًا لا يقوم شيء بغير رأس، إذا ذهب الرأس ذهب كل شيء، فإذا كان الإنسان أصلًا غير مسلم، غير مقر لله بالوحدانية، يأبى أن يشهد أن لا إله إلا الله أو يأبى أن يقر بأن النبي عليه الصلاة والسلام رسول الله، فقد خرج تمامًا عن دائرة الإسلام وبالتالي دائرة قبول الأعمال كلها، فرأس الأمر الإسلام لذلك ينبغي على الإنسان كما بيّنا أن يهتم بقضية العقيدة، قوة الإنقياد، قوة الإستسلام، كلنا مسلمين، لكن إسلامنا ليس متطابق، هل إسلامك مثل إسلام سيدنا إبراهيم؟ لا.

{ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [البقرة: 131]هكذا أنا أيضًا مسلم؟ لا،

هناك فرق هائل في قوة الإسلام، ينبغي على الإنسان أن يكون شغله الشاغل في تقوية إسلامه بحسن الإنقياد، وحسن الإستسلام لله تعالى، والتصديق التام لأخبار الله سبحانه وتعالى.

● المسألة الحادية عشر :

عمود الدين الصلاة ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة تأمل في قول النبي عليه الصلاة والسلام**" عموده الصلاة"**

وكأن النبي عليه الصلاة والسلام شبه الإسلام بخيمة كبيرة يكون هناك عمود في المنتصف تشده ويكون فيها أوتاد وأحبال وغيره لكن هناك العمود الذي يمسك الخيمة حرك العمود أو إبعده تقع الخيمة،

ولذلك في الحديث: **" أولُ ما يحاسبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ الصَّلاةُ ، فإنْ صَلَحَتْ ، صَلَحَ سائِرُ عَمَلِه ، و إنْ فَسَدَتْ فَسَدَ سائِرُ عَمَلِه"** وهذا الحديث مما إستدل به القائلون بكفر تارك الصلاة تكاسلًا،

فلا تستهن بترك الصلاة، فترك الصلاة خطير جدًا عند أهل العلم، **فمنهم من قال :تارك الصلاة تكاسلًا كافر، ومنهم من قال :تارك الصلاة فاسق،** أي أنها مسألة خطيرة جدًا جدًا، فعمود الإسلام الصلاة، **سيدنا عمر** في آخر حياته قال :**لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة،**

والعكس بالعكس كلما إهتم الإنسان بصلاته وإهتم بأدائها وأركانها وخشوعها كلما قوي عموده، وكلما حمل أحمال أكثر، وبالتالي الصلاة تسندك وتسند كل أعمالك، تجبرها، فمثل ما نقول :تركها يوقع الخيمة وزيادتها وتحسنها وقوتها يجعل خيمتك من أعلى ما يمكن عند الله سبحانه وتعالى.

● المسألة الثانية عشر :

فضل الجهاد في سبيل الله تعالى،

النبي صلى الله عليه وسلّم قال: **"وذِروةُ سَنامِهِ الجِهاد"**

هنا شبه الإسلام بالجمل، وهي من التشبيهات التي يفهمها العرب :الخيمة والجمل، فالجمل له سنام وأعلى شئ في الجمل هي ذروة السنام، فقال صلي الله عليه وسلّم: **" وذِروةُ سَنامِهِ الجِهادُ"**،

أي كأن هذه أعلى عبادة في الإسلام، لماذا؟ إذا تأملت في جميع العبادات ستجد العبادات إما بدنية أو مالية أوغيرها مثلًا الصلاة عبادة بدنية، الزكاة عبادة مالية، الحج قد يكون عبادة مالية مع بدنية، لكن الجهاد تفوق على كل ذلك فهو عبادة مالية وعبادة بدنية أضف إلى ذلك أنه عبادة شاقة جدًا وأن فيه إحتمال كبير لخسارة الحياة، لا يوجد عبادة فيها خسارة الحياة حتى الحج نفسه لا تذهب لكي تموت لكن الجهاد أنت متوقع بنسبة كبيرة أنك ستموت أو ستخرج بجراحات أو قطع أعضاء أو آلام شديدة والأجر على قدر المشقة .

ولما كان الجهاد من أشق العبادات على النفوس وعلى الأبدان كان هو ذروة سنام الإسلام، والنبي عليه الصلاة والسلام أخبر في الحديث أن الله سبحانه وتعالى أعد في الجنة مائة درجة للمجاهدين

قال عليه الصلاة والسلام: **" إنَّ في الجنَّةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها اللهُ للمُجَاهِدينَ في سبيلِ اللهِ مَا بيْنَ الدَّرجَتَينِ كَمَا بيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ"**

وقال عليه الصلاة والسلام: **" رِبَاطُ يَومٍ في سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا"**

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: **" ما مِن أحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنْيا، وأنَّ له ما علَى الأرْضِ مِن شيءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فإنَّه يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ، فيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِما يَرَى مِنَ الكَرامَةِ"**

● المسألة الثالثة عشر :

وهي**"مِلاك ذلك كله"**

النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك إستثار ذهن معاذ بن جبل بسؤال وهذه طريقة تربوية، قال :ألا أخبرك بملاك ذلك كله! يجعل المتلقي هو من يجيب فيقول :بلى، فينشط للسماع لأنه هو من طلب، إستعمل طريقة تربوية ثانية وهي التصوير، فأخذ بلسانه أي بلسان نفسه عليه الصلاة والسلام، أمسك بلسانه وقال كف عليك هذا أي اللسان

"فقُلتُ : يا نبيَّ اللهِ، إنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكلَّمُ بِه؟ قال :ثَكلتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهل يَكبُّ النَّاسَ في النَّارِ علَى وجوهِهِم، أوعلَى مناخِرِهم، إلَّا حصائدُ ألسنتِهم."

فدله النبي عليه الصلاة والسلام على مِلاك ذلك **لماذا مِلاك ذلك اللسان؟** لأنه يمكن عن طريق اللسان أن تهدم كل ما سبق بسهولة جدًا لأن اللسان لا يتعب، اللسان منطلق كثير الكلام ومن السهولة بمكان أن تقع في الغيبة في سوء الظن في الكذب ومع كثرة الكلام، وأن الناس في العالم لا تحسب كلامها،

تجد أنك ضيعت كثير جدًا من حسناتك

وقد ورد في الحديث قول النبي عليه الصلاة والسلام: **" أتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا :المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ :إنَّ المُفْلِسَ مِن أمَّتي يَأتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأتي قدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى**

هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ"

وبالتالي الإنسان يتعلم.

وكأن النبي عليه الصلاة والسلام لاحظ الكلمة، قال مِلاك ذلك، **ماذا تعني ملاك ذلك، أنك تمتلك ذلك**، و ربطه باللسان.

دعني أعطيك مثال، أنت الآن معك صرة أو معك حقيبة مليئة بالأموال أو مليئة بالدنانير الذهبية فهل تملك الدنانير الذهبية تقول :نعم، جيد؛ سؤال ثاني، معك حقيبة مليئة بالدنانير الذهبية ولكن فيها ثقب في الأسفل وأنت تسير بها في آخر الطريق هل الآن تملك حقيبة بها دنانير ذهبية، تقول :لا،

في آخر الطريق سأجد أني معي حقيبة وليس فيها أي شيء، هذا هو مِلاك .

الملاك :كأنه الشئ الذي يقفل على العمل ويجعلك تمتلكه فلا يضيع منك، أما إذا أطلقت اللسان ضاع كل ما فعلت،

ذلك من فقه العمل الصالح ليس في أداء العمل الصالح ولكن في الحفاظ عليه بعد أدائه، فلا يكن همك فقط في العمل الصالح أنك تؤديه ولو حتي أديته على نحو رائع و إنما يكون من أكبر همومك أن لا تقع في محرمات بعد هذا العمل تُضيّع عليك العمل الصالح.

أبو بكر الصديق كان يقول :**لساني هذا أوردني الموارد** وكان **إبن مسعود يقول :ما من شيء أحق من طول حبس من لساني**

وقد مر معنا في حديث سابق وبيّنا هذه الأمور، في قوله عليه الصلاة والسلام : **"من كان يؤمن بالله ولأخر فليقول خيرا أو ليصمت"**

وأحيانا يكون من دوافع ترك المحرم خوفك على العمل الصالح،

يوجد أحيانًا محرمات يكون هناك دوافع لتركها، و من أهم الأشياء التي تساعدك على ترك الحرام خوفك على العمل الصالح،

مثال شخص راجع من عمرة أو ناس في الحج خائفين أكثر من الكلام يقولون نحن في الحج لا نريد أن تضيع حِجتنا، أو راجع من عمرة كذلك، هذه ناس فقيهه، فالإنسان يعمل عمل كبير جدًا لا تضيعه بكلمتين، ولا تهديه لأحد يوم القيامة، لأنه إذا عنده مظلمة لك بغيبة، فقد أعطيته الحج وأعطيته العمرة وأعطيته الصلاة، ذهب منك كل ذلك، وتُكب أنت في النار، لماذا أعطيت كل حسناتك للذين إغتبتهم والذين ظلمتهم بلسانك والذين شتمتهم

وبعد ذلك خلصت حسناتك فأعطوك من سيئاتهم فإنكببت في النار، هذه مصيبة كبيرة جدًا وكأن الوصية النبوية في النهاية تقول لمعاذ لو كثرت عليك أعمال الخير فإعمل الذي تقدر عليه ولكن حافظ عليه فقليل من العمل الصالح تحافظ عليه وتلقى الله به تدخل به الجنة خير من كثير ثم تضيعه بمحرمات اللسان ثم تأتي يوم القيامة لاينفعك وتخسره كله في محاسبة الناس ويكون مآلك في النهاية إلى النار،

" وَهل يَكبُّ النَّاسَ في النَّارِ علَى وجوهِهِم، أوعلَى مناخِرِهم، إلّا حصائدُ ألسنتِهم."

اللسان أكثر ما يدخل الناس في النار نسأل الله أن يلهمنا رُشدنا وأن يحفظ ألسنتنا وأن يصون كلامنا وأن يجعل كلامنا ذكرًا وصمتنا و فكرًا اللهم أمين.

****

الحديث الثلاثون :

عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشرٍ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ فرائِضَ فلا تُضَيِّعوها، وحَدَّ حُدودًا فلا تَعْتَدوها، وحرَّم أشياءَ فلا تَنْتَهكوها، وسَكَتَ عن أشياءَ رَحْمةً لكم غيرَ نِسيانٍ، فلا تَبْحَثوا عنها"

- **المسألة الأولى:**

هذا الحديث من أصول الدين، بل قال بعض العلماء :هذا الحديث هو أجمع الأحاديث، لأنه تبيّن فيه أربع أمور لا يخرج عنها الدين، وفي كل أمر من الأمور الأربعة بيّن ما هو المطلوب فيها،

القسم الأول : قال الفرائض، ما هو المطلوب؟ لا تضيعوها،

القسم الثاني: الحدود ماالمطلوب؟ لا تعتدوها،

القسم الثالث:المحرمات ما المطلوب؟ لا تنتهكوها،

القسم الرابع: مسكوت عنه ما المطلوب؟ لا تبحثوا عنه.

إذًا أنت الآن لا تضيع الفرائض ولا تنتهك المحرمات وقفت عند حدود الله سكت عن المسكوت عنه ولم تنشغل بما سكت عنه الشرع، إلتزامك بهذا فيه نجاتك يوم القيامة، والناس في الدنيا على تفاوت في إلتزامهم بهذه الوصايا ،الناس تتعلم الفرائض والحدود و

المحرمات لكن نسبة قوتك في الطريق إلى الله تكون بقدر إلتزام الفرائض وبقدر ما تنتهى عن المحرمات.

وفى هذا تتفاوت الناس كثيرًا فمنهم من يتلزم ببعض الفرائض أو من يترك أغلب المحرمات وهناك شخص يترك نصف المحرمات وهناك شخص يترك فعل أغلب المحرمات، الناس في ذلك تتفاوت،

لذلك نجد أن العمل بهذا الحديث هو الضابط الذي يضبط عملك، وأفضل الناس عند الله من يعمل كل الفرائض، لا ينتهك المحرمات و يقف عند الحدود ولا ينشغل بالمسكوت عنه، لذلك صار أفضل عند الله وهذا مقياس الافضلية عند الله .

● المسألة الثانية :

قول النبي عليه الصلاة والسلام : **"إنَّ اللهَ تعالى فَرَضَ فرائِضَ فلا تُضَيِّعوها"**

إذًا الواجب في الفرائض ألا نضيعها، والفرائض مثل فرض الصلاة، فرض الصيام، فرض الزكاة، **ويدخل في ذلك الواجبات،**

فالفرائض أو الواجبات كلاهما يجب فعلهم ومن يتركهم يأثم، الواجب للإنسان أن لا يضيع الفرائض، وتأمل في قول النبي عليه الصلاة والسلام : **"فلا تُضَيِّعوها"،**

ذكر مع الفرائض لا تضيعوها ولم يقل لا تفعلوها وكأن من يترك فرض يضيع ويخسر فيكون في طريق الضياع، لذا كن حريصًا على عمل الفرائض حتى لا تضيع نفسك يوم القيامة نسأل الله السلامة والعافية .

● المسألة الثالثة :

ما معنى الحدود فالحديث؟

قال: **" وحَدَّ حُدودًا فلا تَعْتَدوها"** ولها **ثلاث** أقوال،

1) الحدود أحيانا في الشريعة تطلق على الحدود الشرعية مثل قطع يد السارق و رجم الزاني، إذًا الحدود هنا بمعنى الحدود الشرعية و المقصود فلا تعتدوها أى لا تتعتدوا ما أمر الله تعالى به.

إذا قلنا مثلًا أن حد القاذف يجلد ثمانون جلدة لا تزيد عن ثمانون، حد الزاني غير المحصن يجلد مائة جلدة لا نزيد عن مائة جلدة ،السارق تقطع يده من مكان محدد لا نقطعها إلا كما تحدد لنا، أو شخص لم يثبت عليه الحد إذا لا نقم عليه الحد، أو شخص آخر شريف ثبت عليه الحد نقيم عليه الحد .

2) معنى كلمة الحدود أي الواجبات والمحرمات، فالزيادة عن الواجب تسمى إعتداء وفي الواجب لا نتعدى المفترض منها ،أما في المحرم المفترض عدم القرب من المحرمات،

والله تعالى ذكر في الآية في قوله:

{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلّا أَنْ يَخَافَا أَلّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ} [البقرة: 229]

نجد بداية الآية : **{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ}**

ثم في آخرها قال : **{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}**

لا نتلاعب بأحكام الطلاق ونستغلها إستغلال سيء ونضر بها المرأة أو نزيد على الطلقات الثلاث فلا نتعدى ما حده الله تعالى لنا.

أما في المحرمات قال الله عن الصيام في **سورة البقرة: {تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا} [البقرة: 187]** فلا نقترب من المحرم ولا نعتدي في حال الواجبات.

3) أن الحدود يقصد بها المباحات وكأن المباح هو أخر حدودك إذا تعديت المباح وقعت في الحرام

كما فى قول النبى صلي الله عليه وسلّم : **"كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ"**

أن يقع في ما قبل الحرام بالضبط .الأصل هو مباح ولكن المعنى المقصود أجعل أخرك المباح وأحذر أن تعتدي و الأفضل عدم القرب الزيادة لأنك كلما إقتربت أكثر ستعتدي وممكن أن تقع في المحرم والله تعالى أعلم.

● **المسألة الرابعة :**

قال: **" وحَرَّم أشْياءَ فَلا تَنْتَهِكُوها"**

" فلا تنتهكوها" تأمل! كأن الحرام المفترض أن يكون بينك وبينه حواجز وموانع .

النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **" ضَرَبَ اللهُ تعالى مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنْبَتَيِ الصراطِ سُورَانِ فيهمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةَ وعلَى الأبوابِ ستورٌ مُرْخَاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ :يا أيُّها الناسُ !ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا ولَا تَتَعَوَّجوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قالَ :وَيْحَكَ لا تَفْتَحْهُ، فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ .**

فالصِّرَاطُ الإسلامُ، **والسُّورانِ** حدودُ اللهِ، **والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ** محارِمُ اللهِ- تعالى-، وذلِكَ **الدَّاعِي على رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعي مِنْ فوقٍ** واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلِمٍ."

وصف النبي عليه الصلاة والسلام طريق الإسلام كطريق مستقيم وحوله ستور فإذا همَّ الإنسان أن ينتهك ستر من هذه الستور قيل له: **" تَفْتَحْهُ، فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ"**،

كأن الأصل والمفترض أن يكون بينك وبين الحرام حواجز وموانع لا تقوم بإنتهاك هذه الموانع وأن تقفل على نفسك، فإذا أنتهكت المانع ستقع في الحرام لذا لا تفتحها.

"وحَرَّم أشْياءَ فَلا تَنْتَهِكُوها " تستلزم منك أن تعلم هذه المحرمات.

بعض الناس ينتهك الحرام ولا يعلم مثل أن يقع في الربا ولا يعلم شئ عن ربا البنوك، أو يسمع موسيقى ولم يسأل عن حكم الموسيقى، أو يصافح النساء ولا يعلم أنه حرام،

فلابد للإنسان أن يتعلم وهذا علم واجب أن يعرف ما هو الحرام وإلا كيف سيلتزم بهذا الحكم.

● **المسألة الخامسة :**

فى قوله: **"سكَتَ عَنْ أشْياءَ رَحْمةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيانٍ فَلا تَبْحثُوا عَنْها"**

هي الأشياء المسكوت عنها لم يذكر أنها لا واجب ولا حرام سكت عنها وهذا يدل أنها مباحة، أى إفعل ولا حرج .فالمسكوت عنه يدل على الإباحة وعدم المنع،

وبالتأكيد المسكوت عنه يكون في العادات وليس العبادات، لأن هناك أصل مهم جدًا في العبادات أخذناه حين تكلمنا عن البدعة، أن الأصل في العبادات المنع والتوقيف حتى تأتي الشريعة بالبيان أى يشرعها الله،

قال سبحانه تعالى: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى: 21]**

في العبادات تلزم أن يأذن الله، أى لا تعمل أي عبادات بدون أذن الله لك في العبادة، لكن الشرع إن سكت في بيان عبادة إذا هى ليست عبادة والعكس، نجد في باب المطعمات والمعاملات الأصل في المطعمات الحِل تأكل كل شئ والأصل في المعاملات بين الناس الحِل ، **{أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} [البقرة: 275]**

فإذا سكت الشرع عن مطعم أو معاملة فهي جائزة أى إفعلها ،

مثال :المعاملات المادية بين الناس، الأصل فيها الإباحةو ربنا وسع فيها قال سبحانه وتعالى: **{كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } [البقرة: 172]**

وقوله تعالى: **{و ۘأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}**

الأصل في المعاملة والمطعمات الحِل و سكوت الشارع عن معاملة أو مُطعَم فإعلم أنها مباحة ولا يحتاج دليل عليه العكس أن أقول هذه عبادة لابد من وجود دليل لكن لا يلزم في كل معاملة وكل مطعم وجود دليل إباحة، لإن يكفي فيه سكوت الشارع .

ومثال هذا أن يقول :**ما الدليل إن المانجو حلال!** ربنا ذكر العنب وذكر النخل ولم يذكر المانجو في القرآن أو أى نوع أخر نقول أن سكوت الشارع عنها ليست نسيان بل رحمة وهي مباحة لإنها في باب المطعمات،

أو معاملة مالية معينة ما دليل أنها جائزة؟ سكوت الشرع عنها، ما لم يتبين أنها ليس فيها غرر ولا ربا ولا أى شئ تكون جائزة،

والعكس في العبادة، مثال : **ماالدليل أن التعبد بالرقص حرام؟** نقول أن الشرع سكت ولم يبين أن التعبد بالرقص عبادة والأصل في العبادة أن الشرع يحددها طالما لم يُبينها أنها عبادة إذا هى ليست عبادة وهذا الفرق .

فإذا سكت الشارع عن أشياء فلا تسأل عنها خاصة في زمن النبوة وتحدثنا عن هذا من قبل.

يمكن أن نرجع إلي المحاضرة التي شرحنا فيها قول النبي صلي الله عليه وسلم .

"فإنَّما أَهْلَكَ الّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ، كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ علَى أَنْبِيَائِهِمْ "

يأتي الأنبياء ببيان أمور شرعية، في أشياء سكت عنها النبي صلي الله عليه وسلم .. إذًا لا تسأل .

لما قال الرجل عن الحج :أكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ ؟ فسكتَ حتى قالها ثلاثًا .

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلّم: **"لو قلتُ :نعَم ، لوجبَتْ ولما استطعتُم"**

لماذا تسأل؟ لم يبيِّن الشرع طوال حياة النبي عليه صلي الله عليه و سلم، كان هو من يقول ولا يجب أن تسأل،

وفي الحديث قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: **"إنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَن سَأَلَ عن شيءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِن أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ ".**

أما بعد موت النبي صلي الله عليه وسلم **هل يجوز أن نسأل في الدين؟ نعم** لأنه لا شيئ سيستجد في التحريم بعد موته صلي الله عليه وسلم، لكن يظل هنالك شيئ ينبغي السكوت عنه مثل ماذا؟

كأن تسأل في مسألة لا يترتب عليها عمل، أو أن تسأل في مسألة عميقة جدًا أعلى من مستواك الحالي بما أنك مبتدئ في طلب العلم، أو أن تسأل في مسائل إفتراضيّة لا يمكن أن تكون أبدًا، وفي العموم دلَّ الحديث على أن الله ﷻ إذا سكت عن شيئ فإنه لا ينسى .

{ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } وأن الله رحم العباد بالسكوت عن هذه الأشياء.

هذا باختصار ما تيسَّر جمعه في هذا الحديث العظيم حديث أبي ثعلبة الخُشَني رضي الله عنه وأرضاه.

****

الحديث الحادي والثلاثون :

عَنْ أَبي العَباس سَعدِ بنِ سَهلٍ السَّاعِدي رضي الله عنه قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي صلي الله عليه وسلم فَقَالَ :يَا رَسُول الله :دُلّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأحبَّني النَاسُ؟ فَقَالَ : ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وازهَد فيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ "وهذا حديث عظيم رواه ابن ماجة وقال عنه الإمام النوويّ حديث حسن .

نلاحظ أن الثلث الأخير من الأحاديث بدايةً من الحديث الثلاثين ليست بقوة سابقاتها، أي تبدأ تضعف في صحتها وحتى آخر الكتاب، أو يكون هناك خلاف في تصحيحها وتضعيفها،

لذلك جعل الإمام النوويّ أقواها في الثلاثين الأُوَلْ، بعد ذلك لن تكون كلها متفق على صحتها، كما نلاحظ أن الامام النوويّ هو الذي حكم على الحديث، **قال حديثٌ حسن،**

وهذا يدل على أن هناك خلاف في الحديث المعيَّن وصحته، لكن بالعموم الحديث الحسن إذا حسّنه أحد الأئمة الكبار فلا بأس في أن يُعمَل به، كما حسَّن الإمام النوويّ عليه سحائب الرَّحمة .

● المسألة الأولى:

علو الهمة في السؤال يقول **سهل بن سعد السَّاعدي** رضي الله عنه وأرضاه:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي صلي الله عليه وسلم فَقَالَ :يَا رَسُول الله :دُلَّني عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلتُهُ أَحَبَّني اللهُ، وَأحبَّني النَاسُ،

السؤال رائع جدًا وصيغتة نفسها تدلُّ على فقه السائل، أنظر ماذا يقول :أريد عملًا يحبني به الله ﷻ وهي خلاصة الخلاصة، وماذا أعظم من تمني محبة اللهﷻ ، فليس الشأن أن تُحِبَّ الله ولكن الشأن أن يحبك اللهﷻ

{وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } [ال عمران: 146] { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [ال عمران: 159] {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة: 54]

إذا أحب الله عبدًا لا يعذبه وهذا مستنبط من قوله تعالى :

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم } [المائدة: 18]

فقال العلماء **الحبيب لا يُعذِّب حبيبه، فإذا أحب الله عبدًا لم يعذبه .**

هذا الصحابي يسأل عن سؤال يمنع عنه العذاب وبالتالي يترتب عليه سعادة الدنيا والآخرة، كذلك الجمال في السؤال أنه سأل عن شيئ يجعل الناس تحبه وهذا يجعل الإنسان يستفسر : **هل يمكن أن أسأل عن عمل يجعل الناس تحبني؟ ألا يعدُّ هذا رياءً؟**

أقول لا يلزم أن يكون هذا رياءً إذا صحَّت النية، فأنت تريد عملًا لله وحده وهذا لا يتعارض مع الرغبة في أن يحبني الناس، وهذا شيئ مطلوب للنفس أن يكون الإنسان محبوبًا، بل حفزتنا الشريعة على العمل الصالح بأن قالت أن العمل الصالح يترتب عليه محبة الناس .

فقال تعالى**{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا} [مريم: 96]**

قالَ ابْنُ عَبّاسٍ: " إنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي القَلْبِ، وضِياءً فِي الوَجْهِ، وقُوَّةً فِي البَدَنِ، وزِيادَةً فِي الرِّزْقِ، ومَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ، وإنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوادًا فِي الوَجْهِ، وظُلْمَةً فِي القَلْبِ ووَهَنًا فِي البَدَنِ، ونَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وبُغْضَةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ ."

وكأن حب الخلق وبغضهم محفِّزًا لفعل الطاعة أو مخوِّفًا لفعل المعصية، يتمنى الإنسان بالتأكيد أن يحبه الناس، هذا ليس إشكالًا، يمكن أن أعمل عملًا لله وحده ويكون من الأشياء التى يحبها الناس، ليس لأنني أرجو منهم ثوابًا ولا أخاف منهم عقابًا ولكن جُبلت النفس على أن الإنسان يحب أن يكون محبوبًا بين الناس، فهذا من سعادة الدنيا، كل هذا يدل على أن هذا الصحابي سأل سؤال فقيه جدًا .

● المسألة الثانية :

ما هو الزهد؟

إجابة النبي صلي الله عليه وسلم قال: **"ازهَد في الدُّنيَا يُحِبَّكَ اللهُ"**

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن ما هو الزهد؟ الزهد هو الإعراض عن الشيء إستقلالًا وإستحقارًا له، كما يقول أحدهم أنا زاهد في هذا الشيئ، أو زاهد في هذه البيعة لأنني لن أحقق ربحًا، أو زاهد في الأمر لأنه لن يعود عليَّ بفائدة، عدم العودة بالفائدة يسهِّل تعريف الزهد.

تعريفًا آخر:

قالوا الزهد هو إحتقار كل ما يشغلك عن الآخرة .

وقالوا الزهد هو خلو القلب من التعلق بما لا ينفع في الآخرة .

لذلك يقول **الإمام أحمد** أن الزهد **ثلاث درجات**:

- **الدرجة الأولى :** ترك الحرام

فإذا ترك إنسانٍ الحرام فهذا الحد الأدنى من الزهد، لا نقول عنه ينفع في الآخرة لا بل يضرُّ في الآخرة، إذًا لدينا مستويان من الحذر :

1) الحذر مما يضرُّك في الآخرة

2) والمستوى الأعلى الحذر مما لا ينفعك في الآخرة حتى وإن كان لا يضرُّك

- **الدرجة الثانية :** ترك فضول الحلال،

أي أن يعمل الإنسان حلالًا لكنه يستزيد منه، ولكن الزهد ينص على أنه ما الداعي منها؟ فيترك فضول الحلال.

- **الدرجة الثالثة :**هو ترك كل ما يشغلك عن الله،

بدأ هنا في الأخذ من المباحات إضافةً للحلال .هو حلال لا بأس، لكنه بدأ يشغلني عن الله سبحانه وتعالى، فنتركه .

قال **إبن رجب الحنبلي** رحمة الله عليه في مسألة الزهد في الدنيا : **لقد انقسم بنو آدم في الدنيا إلى قسمين :**

1) أحدهما من أنكر أن يكون للعباد دار بعد الدنيا للثواب والعقاب، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم :

{إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [يونس: 7]

قال وهؤلاء همُّهم التمتع في الدنيا وإغتنام لذاتها قبل الموت .

كما قال تعالى : **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ } [محمد: 12]**

2) من يقرُّ بدار بعد الموت أي المسلمون وهم المنتسبون إلى شرائع المرسلين وهم منقسمون إلى **ثلاثة أقسام :**

ظالم لنفسه، مقتصد، سابق بالخيرات بإذن الله .

قال الأول :

وهم الأكثر للأسف الذين وقفوا مع زهرة الدنيا بأخذها من غير وجهها وإستعملوها في غير وجهها فصارت أكبر همهم .

أي أخذوها من حرام وإستخدموها في حرام

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **"ولَا تَجْعَلْ الدنيا أكبرَ هَمِّنَا"**

قالوا هؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وكل هؤلاء لم يعرف المقصود منها ولا أنها منزل سفر يتزود منها إلى دار الإقامة وإن آمن بها مجملًا .

والثاني :

أخذها من وجهها، عمل الحد الأدنى ترك الحرام، ولكنه توسَّع في مباحاتها وتلذَّذ بشهواتها المباحة وهو وإن لم يعاقب عليها ولكنه يُنقِص من درجاته في الآخرة بقدر توسِّعه في الدنيا،

وصحَّ **عن ابن عمر** رضي الله عنه قال: **لا يصيب أحدٌ من الدنيا شيئا إلاّ نقص من درجاته في الآخرة عند الله وإن كان عليه كريمًا .**

وفي حديث **قتادة ابن النعمان** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن الله إذا أحبَّ عبدًا حماه من الدنيا كما يَظَلُّ أحدكم يحمي سقيمه من الماء"**

والثالث

هم الذين فهموا المراد من الدنيا وأن الله سبحانه إنما أسكن عباده فيها وأظهر لهم لذاتها ونظرتها ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وقال بعض السلف فيما معناه :هو الزاهد في الدنيا و الراغب في الآخرة

ولما بيّن تعالى **{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: 7]**

بيّن إنقطاع ذلك ونفاذه فقال : **{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا } [الكهف: 8]**

فمن فهم أن هذا هو مآلها جعل همّه التزود منها لدار القرار وإكتفى من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره .

ومن المهم أن نفهم كلام العلماء في ذلك، إن قولهم إنما يكتفي بها ما يفيده في السفر لا يعني من ذلك أنه فقير، وإلا فنحن نرى **عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف** كانوا أغنياء، لكن الفكرة في الزهد في الدنيا هي عملية قلبية .

الزهد في الدنيا هو الإعراض عن الدنيا بالقلب وإن كانت في اليد، فقد يمتلك الإنسان الدنيا ويجعلها سببا في دخوله للآخرة، قلبه معرض عن الإنشغال بها وأنها تشغله عن الله وأن يتوسع فيها توسعاً يضره بالآخرة.

لكن يمكن أن يكون زاهدًا فيتوسع في الدنيا ليتسعملها للوصول إلى الله، ولا تشغله عن الله بل تعينه في الطريق إلى الله،

لذلك البعض يقول :أما المحبة الممنوعة للدنيا هي إثارها لنيل الشهوات واللذات وكل ما يشغل عن الله تعالى، أما محبة الدنيا لفعل الخيرات والتقرب بها إلى الله فهو محمود،

لقول النبي عليه الصلاة والسلام : **"نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ."**

لذلك قال بعض السلف :ليس الزهد في الدنيا هو تحريم الحلال ولا إضاعة المال، وإنما الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق بما في يدك .يعني ليس الزهد أنك تحرم الحلال، ممكن أكون غني، ممكن معي نقود، ممكن أركب سيارة، ممكن أسكن في مكان مريح، ليس دي مشكلة، المشكلة أنك تتعلق بها، فإذا كنت معك الدنيا لكن قلبك مع الله، متعلق بالدار الآخرة، لا تثق في الدنيا إنما تثق في ما عند الله، إذن فأنت زاهد.

والعكس ممكن يكون الإنسان فقير ليس لديه شيء و ليس زاهد، قلبه معلق بالدنيا يتمناها، لو أتيحت له الفرصة أن ينالها من حرام سينالها من حرام، ولو أتيحت له الفرصة أن ينفق في حرام سينفق من حرام، هذا ليس زاهد، قلبه متعلق بالدنيا.

لكن عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، قلوب متعلقة بالله، كان معهم كنوز عظيمة وكانوا أغنياء جدًا، لكن كانوا يطوعون هذه الدنيا لتعينهم على طريقهم إلى الله.

فرأينا **عثمان بن عفان** جهز جيش العسرة بأكمله أو جزء كبير منه، ونفقة **عبد الرحمن بن عوف** قومت الإسلام كتير جدًا، فسبحان الله .

لا بأس أن يتوسع إنسان في الدنيا وأن يكون لديه ممتلكات كثيرة، ولكن لا يتعلق قلبك بها، إستعملها فقط،

الدنيا مثل السيارة، أنت الآن مسافر في طريق، والوسيلة التي ستصل بها إلى النهاية سيارة، فإذا إهتميت أن تكون عندك سيارة جيدة وإهتميت بها ونظفتها وإعتنيت بها وحسنتها وجوّدتها، في النهاية قلبك ليس معلق بالسيارة، قلبك معلق بالنهاية.

بتركب السيارة و ستكون سعيد بها لأنها ستوصلك، بتحبها لكي تريحك في الطريق، لأنها ستوصلك أسرع وأفضل ولكن في الآخر أنا لا يشغلني السيارة، تخيل شخص خرج في

الطريق فإنبهر بالسيارة جداً و أعجبته وفتن بها فجلس جانبها يلمعها ويتصور جنبها حتى ضاع الوقت ولم يصل إلى الغاية التي يريدها.

هذا هو الفرق بين الزاهد في الدنيا وبين الغير زاهد، الإثنين معهم نفس السيارة، الإثنين معهم سيارة فارهه، لكن الأول عرف ماذا يعمل بها، أخذها، ركبها، وأوصلته .الثاني قعد جنبها، يزين فيها و يمدح فيها، إلي أن ضاع العمر ولا تحرك بها ولا وصل بها إلى شيء.

فليس الشأن ماذا تأكل وماذا تلبس، ولكن الشأن كل الشأن في قلبك،

لكن لماذا عندما أزهد في الدنيا يحبني الله سبحانه وتعالى؟

أولًا :لأنك جعلت الآخرة في قلبك،

ثانيًا :لأنك إلتزمت بأمر الله تعالى،

قال الله تعالى **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ}[الرعد: 26]** ، وقال سبحانه **{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ} [النساء: 77]**

ثالثًا :لأنك رأيت الأمور بمقاييس الله تعالى؛ فلا يجوز أن يقول الله عن الدنيا إنّها قليلة وأنت تراها كبيرة، ولا أن يقول الله عن الآخرة إنّها عظيمة وأنت تزهد فيها.

فعندما ترى الدنيا بمقاييس الله يحبك الله سبحانه وتعالى.

ثم قال النبيّ صلي الله عليه وسلّم : **"وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"**،

وهذه الوصية الثانية العظيمة التي تختصر عليك طريق محبة الناس .فالناس فيهم شحّ، وعموماً تستثقل كثيرًا من يطلب منهم شيئًا، فإذا شعر من أمامك أنّك تطمع فيما عنده إستثقل وجودك.

شخص مثلاً يلبس ساعة، فإذا قلت له أوّل مرة :ما أجمل ساعتك، دعني أجرّبها قليلاً، ثم عدت وكررت، سيتضايق منك.

أو كلما قابلته تقول :إعزمني على شيء، إشترِ لي شرابًا، هل ستجلب لي طعاماً معك؟ فسوف يضيق بك، وهذا طبيعي، يقولون :عَضُّ قلبي ولا تَعَضُّ رغيفي، فالناس هكذا، هذه طبيعتهم للأسف .

فإذا أراد الإنسان محبة الناس فليزهد فيما في أيديهم، دعهم يشعرون أنّك لا تريد منهم شيئاً، وهكذا دخل الأنبياء القلوب؛ قالوا**{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ} [الشعراء: 145]** ،

فلو أنّهم طلبوا أجراً لثقلت دعوتهم على الناس .

وقال الله تعالى **{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ } [القلم: 46]**

الناس بطبيعتهم يثقل عليهم من يكثر مطالبه.

فالزهد عن ما في أيدي الناس فرع من الزهد في الدنيا؛ فإذا زهدتُ في الدنيا لن أطمع فيما بين يديك، بل أقول :بارك الله لك فيه، ولا أنظر إليه، خاصة أنّني أعلم أنّ مجرّد التطلّع إلى ما عند الناس يُنقص المحبة،

وقد أخبرني النبيّ صلي الله عليه وسلّم أنّ ذلك يُبغِّضني إلى الناس، وهذا يعطيني دافعاً آخر غير زهدي في الدنيا، وهو رغبتي في محبة الناس، لكي أزهد فيما في أيديهم، وهذه مسألة في غاية الأهمية.

قال **الحسن البصري** :**لا يزالُ الرَّجُلُ كريماً على الناس ما لم يَطْمَعْ فيما في أيديهم، فإذا طَمِعَ فيها استخَفُّوا به وكرِهوا حديثه وأبغضوه.**

وهذه وصيّة مهمّة جدًّا للدعاة، ووصيّة مهمّة جدًّا للعلماء والأئمّة والقرّاء، أن لا يطلبوا من الناس أموالًا إلّا إذا إحتاجوا، فمثلًا :إذا كان أحدهم مُحفِّظًا للقرآن ويحتاج إلى مال، فهناك أبواب من الشريعة قد أباحت أخذ المال، كتعليم القرآن ونحو ذلك، لكن إن لم يكن الإنسان محتاجًا، فلا يطلب من الناس أموالًا أبدًا، ولا يتشوّف إليها.

وإن أعطى الناسُ الداعيةَ هدية، فليأخذها من باب كرم الأخلاق، دون أن يظهر منه أي تشوّف إليها، ولا يطلب، ولا يطمع، ولا يتعرّض للناس حتى يعطوه .فلابدّ أن تكون للدعوة كرامة.

ولذلك قال أعرابيّ لأهل البصرة :**من سيّدُكم؟ قالوا :الحسن البصري .قال :بِمَ سادكم؟ قالوا :إحتاج الناسُ إلى علمه، وإستغنى هو عن دنياهم .فقال :ما أحسن هذا.**

وسأل إبن سلام كعبًا بحضرة عمر رضي الله عنهم **فقال :ما الذي يُذهِب العلم من قلوب العلماء بعد أن عقلوه وحفظوه؟ قال :يذهبه الطمع وشرُّ النفس وطلب الحاجات من الناس، قال :صدقت.**

وتأمّل في حال النبي صلي الله عليه وسلّم، سيّد الزهّاد، قال الله تعالى له:

{وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ } [طه: 131]

فعاش النبي صلي الله عليه وسلم قبل الهجرة وبعدها، في أيام الشدة والرخاء، زاهدًا في متاع الدنيا، طالبًا للآخرة، جادًّا في العبادة .وقد تأسّى به أصحابه الكرام، فكانوا سادة الزهّاد وأسوة الزاهدين.

بل سمع إبن عمر رجلًا يقول :**أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي صلي الله عليه وسلّم وأبي بكر وعمر، فقال :عن هؤلاء تسأل!** وكأنّه يقول :الزهد قد إرتفع بعد هؤلاء الخلفاء الكرام.

وقال إبن مسعود رضي الله عنه لأصحابه يومًا :**أنتم أكثر صلاة وصومًا وجهادًا من أصحاب محمد صلي الله عليه و سلم ولكن كانوا خيرًا منكم .فقالوا :كيف ذلك؟ قال :كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة .لقد جاءتهم الدنيا بالأموال الحلال، فأمسكوها تقرّبًا إلى الله تعالى، وأنفقوها في خدمة دينه وإعلاء كلمته.**

وقال أبو سليمان :**لقد كان عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما خزانتين من خزائن الله في أرضه، يُنفِقان في طاعته، وكانت معاملتهما لله بقلوبهما وعلومهما.**

نفهم من ذلك أن الزهد لا يعني لبس الصوف أو المقطّوع، وليس فكرة في الإعراض عن الدنيا ذاتها، وإنما هو الإعراض عن تعلّق القلب بالدنيا، فإن تيسّرت لك الدنيا فخُذها، ولكن لا يتعلّق قلبك بها.

فالزهد عند الأوائل لم يكن بالتكلّف والتصنّع في التقشّف، ولا بترك أكل الطيّبات، ولا بلبس الرديء من الثياب.

فهذا تصوّف مقيت لم يكن من هدي السلف الأوائل، بل كانوا يطهّرون قلوبهم من التعلّق بالدنيا، فإذا جاءت الدنيا في أيديهم أخذوها وأنفقوها في طاعة الله تعالى.

وبذلك نتعلّم هذه الوصيّة العظيمة :كلّما كنت خفيفًا على الناس أحبّوك، وكلّما كنت ثقيلًا عليهم أبغضوك، فلا تطلب من الناس شيئًا، ولا تطمع، ولا تتشوّف إلى ما في أيديهم، وإن رأيت شيئًا عند أحد فأدعُ له بالبركة، وتمنَّ له الخير، حينها يُحبّك الناس، ويُحبّون مجلسك، ويأنسون بك.

أمّا إذا نظرت بعين الطمع أو الحسد، أو قارنت نفسك بغيرك، أو طلبت منهم، كنت ثقيلًا جدًّا على قلوب الناس.

فيا لها من وصيّة راقية عظيمة، من وصايا النبي صلي الله عليه وسلّم.

وبهذا ينتهي الحديث الحادي والثلاثون بتمامه وكماله.

****

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

جزاكم الله خيرًا

سبحانكَ اللهمَّ ربنا وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.